

پژوهشنامه انتقادی متون و برنامه‌های علوم انسانی، پژوهشگاه علوم انسانی و مطالعات فرهنگی
ماهنامه علمی - پژوهشی، سال هجدهم، شماره یازدهم، بهمن ۱۳۹۷، ۷۹-۹۱

کتاب دراسات فی الأدب العربی الحديث (النثر) فی میزان النقد

علیرضا کاهه*

الملخص

طیلة القرن الماضي قد جرت تغييرات واسعة وكبيرة على النثر العربي الحديث، ولهذا السبب دراسة مراحل نشوئه والتحويلات الطارئة عليه، إلى جانب التدقيق وإنعام النظر في النماذج الموجودة والمقدمة في هذا المجال بحاجة إلى دراسات دقيقة وشاملة، وذلك بسبب الاتساع الجغرافي والمواضيع المطروحة المتعددة في النثر الحديث وأنماطه المتعددة. إن كتاب دراسات في الأدب العربي الحديث (النثر) الذي كتبه الدارسان محمد أحمد ربيع، وسالم أحمد الحمداني بالاشتراك، أحد الكتب الذي يتطرق إلى النثر الحديث؛ حيث يسعى الكاتبان إلى رصد مراحل تطور أنواعه المتنوعة وهي: المقالة، والقصة القصيرة، والرواية، والمسرحية، ومن خلال انتقاء نماذج من كل نوع، والقيام بتحليلها يقدمان رؤيتهما النقدية للقارئ. مع الأخذ بعين الاعتبار السؤال الهام: هل من المطلوب اختيار وتقديم هذا الكتاب كنص تعليمي لمادة «نصوص النثر في العصر المعاصر» التي تُعرض على الطلاب الإيرانيين في فرع اللغة العربية وآدابها لمرحلة الليسانس؟ يجب القول بأن هذا الكتاب لم يتبنَّ منحى واتجاهاً واحداً ومنهجياً في تحليل النصوص علاوة على عدم شمولية النماذج المدروسة فيها، ولأجل هذا لا يمكن تقديمه كمرجع كامل وجامع يلبي حاجات الطلبة في هذا المجال إذ لا يمكنهم بعد قراءة هذا البحث من تقويم النصوص الحديثة وفقاً لنظرية خاصة ذات إطار محدد. إن هذا المقال يسعى من ناحية لتسليط الضوء على الجوانب الشكلية للكتاب، ومن ناحية أخرى يقوم بدراسة مضمونه، وتبيين المحاسن والمساويء والتناقض الموجودة فيه.

الكلمات المفتاحية: الأدب الحديث، النثر، دراسات في الأدب العربي الحديث (النثر)، محمد أحمد ربيع، سالم أحمد الحمداني.

* استاذ مساعد في قسم اللغة العربية وآدابها بجامعة ولايت، ايران شهر، a.kahe@velayat.ac.ir
تاريخ دریافت: ۱۳۹۷/۶/۱۷، تاريخ پذیرش: ۱۳۹۷/۹/۲۸

١. مقدمة

طوال العقود الماضية كان النشر الحديث إلى حد كبير موضع اهتمام والتفات الدارسين، وبفضل هذه البحوث، قد تمّ تهيئة الظروف وتوفير الفرصة للراغبين في متابعة النشر الحديث كي يتعرفوا أكثر فأكثر على اتجاهاته، ومواضيعه، وروّاده، وأعلامه ونتائجهم الأدبية. ومن هنا يبدو للمتأمل في هذه الدراسات مدى الصعوبة التي تعترض من يتصدّى لدراسة النشر العربي الحديث تاريخياً أو نقداً وتتمثل الصعوبة في أن حجم المادة النقدية التي يمكن أن تخضع للدراسة والتقويم متناثرة ومبعثرة في البلاد العربية. من هذا المنطلق ينبغي أن يصبّ اهتمام النقاد على رصد المؤلفات المعروضة في هذا المجال ومن ثمّ تقدّمها الشكلية والمضموني كي يتمخض هذا النقد عن العثور على أفضل الكتب الصادرة، وذلك للاعتماد عليها كنص تعليمي شامل، وجامع، ومنتخب حتى يتمّ تقديمها على طلاب فرع اللغة العربية وآدابها لمادة «نصوص النشر في العصر المعاصر». ونظراً لأهمية هذا الأمر تهدف هذه المقالة إلى تقديم تحليل نقدي لكتاب *دراسات في الأدب العربي الحديث (النشر)* للكاتبين محمد أحمد ربيع، وسالم أحمد الحمداني، وتسعى لدراسته وتقييمه على المستويين: الشكلية والمضموني، وذلك للإجابة عن هذا السؤال: إلى أي مدى أخذ هذا الكتاب بعين الاعتبار الأسس البنوية والمضمونية المنشودة من البحث العلمي؟

٢. تحليل الجوانب الشكلية

يرى الباحثون أنه لا تأثير للجوانب الشكلية للكتاب في الجانب الموضوعي له لكن هناك دور هام ومحوري للشكل، ويكمن هذا الدور في إثارة اهتمام وانتباه القارئ ويعتبر أحد العوامل الهامة في سيميائية الأثر العلمي (بشيرى، ١٣٩٣: ٣). لم يتمّ كتاب *دراسات في الأدب العربي الحديث (النشر)* بجماليات سيميائية تميزه عن الكتب الأخرى، وتمّ إغفال هذا الجانب سواء على الغلاف أو داخل صفحات الكتاب. إن جودة الطباعة من حيث رسم الحروف، والصفحات، والبنط جيدة، لكن كان من الأفضل تحديد المباحث الهامة في التحليلات بتغيير البنط أو تضخيمه للدلالة على أهميتها والتركيز عليها. إن تنظيم الفقرات من حيث عدد الأسطر غير متناسق وغير منتظم، بحيث يواجه القارئ في الفصل الأول فقرات مقطّعة، ومنفصلة، وقصيرة، تليّ تبعاً لكن أجزاء من الفصلين الثاني والثالث تضمنت فقرات طويلة ومسهبة قد تملّ القارئ وتوقعه في الضجر. فينبغي أن يحسن الكاتب ربط الجمل والتركيب، مبتعداً عن العبارات الطويلة التي تؤدي إلى التعقيد أو ضجر القارئ، وقد لا تعبّر عن رأى كاتبها بجلاء ووضوح.

إن لغة الكتاب وجُمَلاته بأجمعها سلسلة وقريبة للفهم لكن القارىء قد يجد صعوبة فى فهم جملة كهذه «أما الحيوية فى الحوار فإنها تتحقق بما يصاحب الأداء من حركة عضوية أو القراءة من حركة ذهنية القومية التى ترتبط بها الأمة فى كل زمان ومكان، وهى عنوان وهوية الأمة بكل نشاطاتها الفكرية والأدبية والفنية» (ربيعوالحمدانى، ٢٠٠٣: ١٦٤)، فكلمًا يتأمل القارىء الجملة فلا يمكنه الوصول إلى المعنى المقصود من عبارة «حركة ذهنية القومية التى ترتبط بها الأمة فى كل زمان... إلخ».

بما أن الخطأ المطبعي يفسد الأثر العلمى، ويعطى انطباعاً سيئاً لدى القارئ فىجب أن تكون الطباعة دقيقة وخالية من الخطأ. حبذا لو كان الكتاب خالياً من الأخطاء المطبعية الكثيرة التى ظهرت فيه. على سبيل المثال فى الصفحة السادسة، وفى الفقرة الأولى من المقدمة قد كُتِبَ «شئياً» والمقصود «شئياً». وفى ثلاثة أسطر ما قبل الأخير من الصفحة نفسها نجد «أضفينا» بدل كلمة «أضفنا». والخطأ ظاهر فى جملة: «كما حظوا على التسليح بالأخلاق الحميدة» (ص ٢٩) والصحيح: «حظوا». ومما يؤسف عليه هو أن يواجه القارىء أخطاء مطبعية متعدّدة فى ثلاثة أسطر: «... يترك فى الفوسطابعا قاتماً متشائماً وينتهى فى الغالب بنهاية محزنة. عرفها أرسطو بأنها محاكاة فعل نبيل تام لها طول معلوم بغلة مزودة بألوان من التزيين» (ص ١٦٨). والجملات تحتاج إلى تنقيح كلمات: النفوس، ينتهى، بلغة و بألوان. إن هذه الأخطاء تحط من شأن الكتاب وقد تحير وتضلل الطالب بحيث إذا لم يتم إرشاده إلى المعنى الصواب قد يخطأ فى فهم المعنى الصحيح.

إن الأخطاء الصرفية والنحوية هى من الأضرار التى قد تهدد بعض المؤلفات العربية «فالعجمة واللحن شائعان حتى على ألسنة المتخصصين والمتعلمين» (الهاشمى، ٢٠٠٨: ٣٢)، ومن هذا المنطلق إن أسباب تدريس النحو الآن لم تختلف عن دواعى تدريسه فى السابق؛ لأن النحو يساعد الطلبة على اكتشاف الخطأ فى المكتوب. وللأسف ظهرت فى هذا الكتاب أخطاء صرفية ونحوية بأشكال شتى، وفيما يلي إشارة إلى أهمها: ١. الاستخدام غير المناسب من الحرف الجارة: «وتتعدّد الشخصيات فى القصة، وغالباً ما تكون فى الإنسان...» (ص ٦١)، والمعنى يكمل ويستقيم بواسطة حرف «من» الجارة؛ أى تكون الشخصيات من الإنسان، وتُختار منه وليست من الموجودات الأخرى. ٢. عدم المطابقة بين الصفة والموصوف فىالتعريف والتذكير: «فمنهم من يفضّل وصف بيئة القصصيةوصفاً دقيقاً» (ص ٦٤). ٣. عدم المطابقة بين الصفة والموصوف فى التذكير والتأنيث: «اقتباس موضوعاتها من الحكايات الشعبية التراثية» (ص ١٥٨). ٤. مجيء «ال» على المضاف: «... إن انتصار الإرادة فى جنوب شرقى آسيا هو انتصار الإرادة الإنسان» (ص ٩٤)، «حانت منه التفاتة نحو الأولاده...» (ص ٩١). ٥. مجيء «أن» على الجملة الابتدائية:

«أن الحدث الرئيسي الذي يعكس تطلعات...» (ص ۱۲۸). ۶. عدم تطابق إسم الإشارة والمشار إليه: «إذ خصصنا لهذا المادة (نثرا) جنس المقالة و...» (مقدمة كتاب ص ۵). «لأن جهد الكاتب في تصوير هذا الشخصيات قد انصب...» (ص ۱۳۳). «ولم تستطع البيئة الجديدة أن تضعف هذه الإحساس في نفسه» (ص ۱۴۸). «ففي هذا الحالة» (ص ۱۶۳). ۷. إلغاء عمل حرف «لم» الجازمة: «لكن هذا الصراع لم يضيف على مسرحياته الحيويّة والحركة» (ص ۱۷۲).

إن الحواشي والهوامش «تحمل لنصها ولقارئها تدقيقاً وتحقيقاً للمرجع الذي انتزعت منه، إما أن تكون بعيدة (أى أن تقع في آخر المبحث أو الكتاب)، وإما قريبة (أى أن تقع في أسفل الصفحة)» (بلعابد، ۲۰۰۸: ۱۳۱). والهوامش الموجودة في هذا الكتاب تقع في أسفل الصفحات، وتكون متميزة بأرقام مستقلة لكل صفحة على حدة، ودونت المعلومات فيها بتسلسل الأرقام التي وضعت في نص الصفحة. واتبع الكاتبان للإرجاع أسلوب: إسم الكتاب، اسم المؤلف، رقم الصفحة. وحينما يكرر المرجع في الصفحات التالية يُكتفى بذكر إسم الكتاب، ورقم الصفحة لكن هذا المنهج لم يُتبع في بعض الأجزاء من الكتاب، على سبيل المثال لم يُذكر إسم المؤلف (عبدالمحسن طه بدر) في هامش الصفحتين ۱۱۸ و ۱۱۹: «تطور الرواية العربية الحديثة في مصر ص ۳۱۸-۳۲۰». أو نجد تقدّم إسم المؤلف على إسم الكتاب «عزالدين إسماعيل: الأدب وفنونه ص ۴۴۷» (ص ۱۹۲). وفي هوامش صفحات متعددة يُشار إليمكان النشر وسنة الطبع: «في الأدب العربي أصوله ومناهجه ص ۹۴ القاهرة ۱۹۷۶» (ص ۳۴، وأيضاً صفحات ۳۶، ۷۴، ۸۲، ۹۳، ۱۳۹)، بينما «لا تذكر في الحاشية معلومات النشر: رقم الطبعة، اسم الناشر، مكان الطبع، سنة الطبع، وإنما يُترك ذكر هذه المعلومات إلى ثبت المصادر والمراجع الذي يأتي في نهاية الرسالة» (الركابي، ۱۹۹۲: ۶۱). إن هذا القوضى والتذبذب في ثبت المصادر، وعدم اتباع أسلوب صحيح وواحد في الإرجاع أمر مرفوض ولا يمكن قبوله في البحوث العلمية.

من الخطوات الهامة في البحث العلمي كتابة وتوثيق المراجع والمصادر بطرق سليمة، وينبغي أن تكون كافة المراجع الموثقة في متن البحث مطابقة للمراجع الموثقة في فهرس المراجع لكننا نجد عدم تواجد بعض المراجع المستفاد منها في فهرس المصادر والمراجع، مثل المرجع الوارد في الصفحة ۱۶: «نشأة القصة وتطورها في العراق: عبد الإله أحمد ص ۲۰»، والمراجع الموجودة في هامش الصفحات التالية: ۳۶، ۱۱۲، ۱۲۱، ۱۳۹، ۱۵۶، ۱۷۲، ۱۹۴. وما يضعف مصداقية مراجع الكتاب عدم توثيقها بذكر «دار النشر، سنة الطبع، رقم الطبع» في فهرس المصادر والمراجع، وكان ينبغي توثيق مراجع الفهرس وفقاً لطرق علمية متبعة كي يوفر للقارئ إمكانية الاستزادة في موضوع البحث من خلال رجوعه إلى المراجع الموثوقة بها، وأيضاً لتعزيز مصداقية البحث والتحقق مما ورد فيه من المعلومات.

٣. التحليل المضموني للكتاب

إن «العنوان لدى السيميائيين، بمثابة سؤال إشكالي، بينما النص، هو بمثابة إجابة عن هذا السؤال. إن العنوان يحيل على مرجعية النص، ويحتوي العمل الأدبي في كليته وعموميته» (حمداوى، ١٩٩٧: ١٠٨). وإذا كان العنوان يعين طبيعة النص ويعلن نوايا المبدع فعلى المؤلف أن يمدّ القارئ في المقدمة بمعلومات عن أسباب تأليف الكتاب، والمنهج المتبع في العمل الأدبي، وإطاره العام كخطوة تمهيدية قبل الولوج في صلب الموضوع. فمن هذا المنطلق أعلن الكاتبان في مقدمة هذا الكتاب أنه جزء متمم للجزء الأول من الكتاب الذي تمّ نشره تحت عنوان «دراسات في الأدب العربي الحديث (الشعر)» وتناول مادة الشعر. وقد تحدثنا عن الأطر الرئيسية في الكتاب ثم أشارا إلى الاتجاه التاريخي الذي تبنيه في تبين القضايا التاريخية، مؤكّدين على المنهج التحليلي في دراسة النماذج المقدمة، والتعويل على الآثار الأكثر شهرة إلى جانب الاعتماد على بعض النماذج البعيدة عن الشهرة والتي لم تحظ منذ صدورها باهتمام نقدي واسع، والسبب من وراء ذلك في اعتقادهما هو رؤى قيّمة، وطاقت تعبيرية، ومفاهيم إنسانية تحملها هذه الأعمال المغمورة التي ينبغي تمهيد مكانتها ولأصحابها في الدراسات الأدبية، ولا يجدر بنا الإغفال عنها وإهمالها.

يبدأ الفصل الأول من الكتاب تحت عنوان «تمهيد في النثر العربي الحديث - سماته ومظاهر تطوره» في أربعين صفحة (٩-٤٩). تضمّن الصفحات الواحدة والعشرون الأولى قضايا عامة يجد القارئ معظمها في ثنايا كتب تاريخ الأدب المعاصر لكنّ الكاتبين للاحتراز عن تكرار الموضوعات عالجاها بشكل موجز ومكثّف تحت مواضيع متعددة هي: ١. بقظة الأمة العربية، ٢. الطباعة، ٣. الصحافة، ٤. الترجمة، ٥. البعثات، ٦. المدارس. يستمر البحث في هذا الفصل حول التغييرات الطارئة على النثر العربي المعاصر على المستويين: اللغوي والموضوعي. ثم يتناول بعجالة الفنون الأدبية الحديثة وعوامل ازدهار الخطابة، وتحت عنوان «المقالة» وبعد تعريفها، وذكر مراحل نشوئها، وتطورها، وأنواعها؛ يتم تقديم أربعة كتّاب هم: لطفى المنفلوطي، وصادق الرافعي، وفهمي المدرس، وخالد الكركي، وتُعرض أجزاء مقطوعة من بعض مقالاتهم كنماذج في هذا المجال.

يتضمّن الفصل الثاني عنوان «الفن القصصي» في ٥٦ صفحة (٥٢-١٠٨) ويلقى نظرة على وجود نماذج في الأدب العربي تشبه هذا الجنس الأدبي كالحكايات، والمقامات، وبعض القصص كالف ليلة وليلة. ثم تُدرس الأسباب الرئيسية في ظهور القصة الحديثة في الأدب العربي، كترجمة القصص الغربية التي كانت تُنشر في الصحف بهدف تسليّة القراء، لكن لا يلبث أن يظهر أمثال سليم البستاني وجرجي زيدان، ورويدا رويدا تتسع دائرة الكتّاب والأدباء في القرن العشرين بعدما ولجت الساحة الأدبية جماعة من الأدباء الكبار من مختلف البلاد العربية والذين حقّق البعض

منهم نجاحاً باهراً وغير مسبوق في عالم الأدب أمثال: نجيب محفوظ، عادل كامل، عبدالحميد جودة السحار، على أحمد باكثير، محمود تيمور، توفيق الحكيم، طه حسين، يوسف ادريس، عبدالرحمن الشرفاوى في مصر، وعبد المسيح انطاكي، عبد الحميد الزهراوى، معروف الأرنؤوط، شكيب الجابري في سوريا، ومحمود أحمد السيد، ذو النون أيوب، عبد الحق فاضل في العراق، وميخائيل نعيمة، وسهيل إدريس في لبنان.

يستمر هذا الفصل مع تعريف لعناصر الرواية (الحدث، الشخصية، البيئة، الحكمة، السرد، الأسلوب، الحوار) ثم تُعرض ست قصص قصيرة نموذجاً للدراسة والتحليل وهي: ١. الزوجات العشر لعبد العزيز عبد الكريم. ٢. السور لإلهام عبد الكريم. ٣. الخطو فوق الجراح لعبدان على جابر. ٤. إسماعيل يتحدّى المجتمع تأليف يحيى حقى. ٥. فى القطار تأليف محمد تيمور. ٦. أبطال الخمرة تأليف محمود أحمد السيد.

يحمل الفصل الثالث عنوان «الرواية» ومؤلف من ٨٥ صفحة (١٠٩-١٩٤). يبدأ هذا الفصل بتعريفها وتبيين فروقها مع القصة القصيرة، ويستمر بإطلالة سريعة على نشأة الرواية العربية. وفي مبحث نماذج من الرواية تقدم أولاً رواية «زينب» (١٩١٤) لمحمد حسين هيكل، ويذكر بشكل عام بعض الإيجابيات والسلبيات الموجودة فيها. يختار الكاتبان روايتين أخريين هما: «زقاق المدق» لنجيب محفوظ، و «موسم الهجرة إلى الشمال» للطيب صالح، لدراسة عناصرهما الروائية (الحدث، الشخصيات، الزمان، المكان، الحكمة والبناء، اللغة، الوصف). وبعد الانتهاء من دراسة الروائيتين المذكورتين يدخل البحث في مجال المسرحية وتحت هذا العنوان يشير الباحثان إلى أنواعها المماثلة في الأدب العربي القديم تحت مسميات مختلفة كالمقامة، والحكايات، وخيال الظل، والقرقوز؛ ويشرحان باختصار مراحل نشوء المسرحية في الأدب العربي الحديث وعناصرها (لغة الحوار، فصول المسرحية، الصراع، الحركة، الحكمة، الشخصية، الفكرة) وأنواعها: المأساة والملهات. وفي الختام يقع الاختيار على ثلاث مسرحيات لتقديمها وتحليلها وهي: ١. مجنون ليلى لأحمد شوقي. ٢. حكاية الأيام الثلاثة لعمر النص. ٣. الحلاج لصلاح عبد الصبور.

٤. أخلاقيات البحث

من الخصائص الجلية لأي بحث علمي تسجيل المراجع والمصادر المستفادة منها، ولحفظ الأمانة العلمية على الدارس أن يدقق في إحالة المراجع المقتبسة منها. كما أن الابتعاد عن التعصب والتطرف والانطباع الذاتى يمكن أن يُستخدم كمعايير لقياس وتقييم أخلاقيات البحث (اسلامى، ١٣٩١: ١٤٤). في هذا الصدد يجب القول بأنه في القضايا التاريخية وعلى وجه

التحديد في تحليل النصوص يشير المؤلفان في مواضع عدة إلى المصادر التي أكثر من الاستفادة منها وتم الاعتماد عليها بهذا القول: «اعتمدنا في دراسة هذه القصة على كتاب...» (ص ٧٤)، «انتفع الدارسان في هذا الموضوع بكتاب...» (ص ١١١). إن هذا الأمر جدير بالتقدير لكن بعض الأحيان بسبب عدم مراعاة أسس الإحالة الصحيحة إلى المراجع، تختلط الأقوال المنقولة من الآخرين مع كلام المؤلفين بحيث لا يمكن فرزهما. إن هذه المسألة ظهرت في الصفحات ٨٦-٨٨، و١٢٤-١٣٦، وفي المباحث المتعلقة بتحليل المسرحيات في الفصل الثالث.

يتم الاقتباس وفق طرق مختلفة ولكل طريقة مناسبتها وإن علامة التنصيص «تستخدم لحصر الاقتباس المباشر من الكلام» (الهورى، ٢٠٠١: ٨٨) أى نقل النص كاملاً دون إحداث التغيير فيه، لكن الكتاب جعل كافة الأقوال المقتبسة بين القوسين، على سبيل المثال في الصفحة ١٦ اقتبس من كتاب «نشأة القصة وتطورها في العراق» لعبدالإله أحمد هذه الجملة: «ومن مظاهرها الإيجابية أنها فتحت صدرها للفنون الأدبية الجديدة كالمقالة والقصة». وفي موضع آخر تم نقل جملة من «رفاعة الطهطاوى» بين القوسين ولكن دون ذكر المصدر: «... كقوله فيما ترجم عن أحد الحكام (وكان أحظى الملوك باكتساب الطاعة... كما كان عظيماً عند مماته)» (ص ٢٦). كما أن جميع الأقوال المقتبسة لتعريف المقالة في الصفحتين ٣٣ و٣٤ وُضعت بين القوسين، نكتفى بذكر ما نُقل من كتاب «فن المقالة» لمحمد يوسف نجم: «فن أدبي ثرى، حديث على الأدب العربى، وهو قطعة محدودة في الطول والموضوع... وشرطها الأول، أن تكون تعبيراً صادقاً عن شخصية كاتبها» (ص ٣٣).

إن الإحالة إلى نص النماذج المدروسة: مقالة «النظرات» (ص ٤٣)، ورواية «زينب» (ص ١٢٠) ومسرحية «الحلاج» (ص ١٩٣) تمت بشكل ناقص، والأسوأ من هذا عدم إثبات الكتب التي نُقلت منها مقالة مصطفى صادق الرافعى (ص ٤٦)، وكذلك المقالات الأخرى فى الصفحات ٤٨ و٤٩، وأيضاً القصص القصيرة الواردة فى الصفحات ٧٤، ٨٢، ٨٩، ٩٦، ١٠١، ١٠٦. وما يثير التساؤل عدم تسجيل أسماء هذه الكتب فى فهرس المصادر وتوثيقها بذكر «دار النشر، سنة الطبع، رقم الطبع»، وهذا يعتبر من النقائص الجوهرية للكتاب وأمر مرفوض فى البحوث العلمية والجامعية.

عدم التدقيق فى الإحالة إلى المراجع ظهر بشكل آخر وهو إرجاع الأثر أو الكلام المنقول إلى كاتب آخر عن طريق الخطأ، وهذا ما حدث شاداً فى الصفحة ٦٤ حيث تم الجمع بين رواية «الشوارع الخلفية» (١٩٥٨) وعبد الحميد جودة السحار بصفته كاتباً لهذه الرواية فى حين إن عبد الرحمن الشرفاوى هو صاحب الرواية. وفى موضع آخر ينسب الكتاب إلى الناقد أحمد الشايب هذه العبارة قائلاً: «يرى أحمد الشايب أن أسلوب الرجل هو الرجل نفسه» (ص ٧١) والحال أن هذه

الجملة الشهيرة منسوبة إلى اللغوى الفرنسى «بوفون» (١٧٠٧-١٧٨٨) الذى قال «أسلوب الشخص نفسه» (وهبة، ١٩٧٤: ٥٤٢).

٥. النقاط السلبية للكتاب؛ من سلبيات الكتاب ما يلي

١.٥ تجاهل التيارات الأدبية المعاصرة فى الأدب القصصى

يرى الكثير من النقاد والمؤرخين أن هجوم نابليون بونابارت على مصر عام ١٧٩٨، والعلاقة المباشرة مع الغرب يعتبر أحد العوامل الهامة والمؤثرة فى إحياء النهضة الأدبية وبداية العهد الحديث للأدب العربى (هيكل، ١٩٩٤: ١٣؛ ضيف، لاتا: ١١). إن المؤلفين قد جعلوا هذه الفترة نقطة البداية لدراستهما لكن الفترة الممتدة فى الدراسة لا تتجاوز منتصف القرن العشرين، بينما حقبة الستينيات قد تميّزت بسمات متميّزة، إذ شهد ذلك العقد آمالاً عظيمة، وإنجازات، وإحباطات وطنية، وتغيّرات عميقة المدى فى العلاقات الاجتماعية نحو: ظهور شخصية جمال عبدالناصر، وصعود القومية العربية، ونكسة عام ١٩٦٧، واحتلال أجزاء من البلاد العربية؛ وعلى طول هذا العقد من السنوات وجدت الاتجاهات الحداثية فى الأدب العربى هويتها الخاصة (الخرائط، ١٩٩٩: ١٧). ويصنّف البعض فى هذا السياق تيارات أساسية فى الأدب الروائياً أهمها: ١. التيار الداخلى أو العضوى. ٢. تيار التشيىء. ٣. التيار الأسطورى المعاصر. ٤. التيار الواقعى الجديد. ٥. التيار الواقعى السحرى (الخرائط، ١٩٩٩: ٣٠-٣٨). لكن الكتاب لم يتطرق إلى الأحداث الهامة لهذه الحقبة، ولم يرد أى إشارة عابرة إلى هذه التيارات الأدبية المذكورة فى المجال القصصى أو المسرحى، ومعظم القصص والروايات تعالج مواضيع اجتماعية وواقعية، ومادة المسرحيات الثلاث تاريخية، اثنتان منها شعريتان ومسرحية واحدة نثرية.

ومما يلاحظ على هذه الدراسة عدم وضوح السبب والمعيار فى اختيارها سبعة كتب من بلاد مصر، وكاتب واحد من السودان، إلى جانب انتخاب كتاب آخرين من العراق والأردن. إنها لم تُفرد باباً للحديث عمّا كان ولا يزال يُعرف بعمليات التجنيس الفنى التى ظهرت إثر انهيار أسلوب الرواية التقليدية لدى العديد من الكتاب، وانفلات الكتابة من قيود الشكل، إذ تحولت الرواية حسب رأى النقاد إلى أعمال مفتوحة على أجناس أدبية متعددة، حتى تكاد تغيب حدود النوع الأدبى مع الشعر، والسينما، والقصة القصيرة، والمسرح، والريپورتاج الصحفى (أبو نضال، ٢٠٠٦: ١٤). ومن ثم هذا المنطلق من الأفضل تعريف الرواية الجديدة وتبيين أهم مواصفاتها فى ثنايا الفصول، ومن ثم اختيار نماذج من أعمال روائيين ذوى نتائج جيدة وعالية ممن رسخوا أساليب الكتابة الروائية الجديدة فى الأدب العربى أمثال: إبراهيم نصرالله، وبهاء طاهر، وصنع الله إبراهيم، وعبدالرحمن

كتاب دراسات في الأدب العربي الحديث (الشر) في ميزان النقد ... ٨٧

منيف، وجمال الغيطاني وغيرهم. كما يجدر بأن تُخصص أجزاء للكتابة النسوية التي تمثلت في إبداعات سحر خليفة، وأحلام مستغانمي، وإملى نصرالله، وهدى بركات، وليلى الأطرش وغيرهن.

٢.٥ عدم تناسق العناوين الداخلية

إن العناوين الداخلية، عناوين مرافقة أو مصاحبة للنص، في داخل النص و«الوظيفة الرئيسية التي تتخذها هي الوظيفة الوصفية عند «جينيت» ... لأنها تمكّننا من ربط العلاقة بين العناوين الداخلية وفصولها من جهة، والعناوين الداخلية وعنوانها الرئيسي من جهة أخرى (بلعابد، ٢٠٠٨: ١٢٦). لكن قارئ هذا الكتاب يجد أن «الفصل الثالث الرواية»، يتضمّن ما يرتبط بالمرسحة، بداية بشرح وجود ما كان يشبهها في الأدب العربي القديم (المقامة، الحكواتي و...)، ومروراً بنشأتها وتطورها وعناصرها وأنواعها، ووصولاً إلى الإتيان بنماذجها للدراسة والشرح. وبما أن من أهم وظائف العنوان وظيفة المطابقة التي تريد أن تطابق بين العنوان والنص، فكان من الأفضل أن يُفرد للمرسحة فصلٌ خاصٌ نظراً لتفاوت الرواية والمرسحة في البناء والعناصر، وبسبب اختلاف كيفية نشأتها وتطورهما في الأدب العربي.

إن عدم اتباع الكتاب منهجاً واحداً في انتخاب العناوين داخل الفصول ظهر جلياً في الفصل الثالث (الرواية) حيث لم يتضمن تحليل رواية «زينب» أي عنوان داخلي بينما اشتمل تحليل روايتي «زقاق المدق» و«موسم الهجرة إلى الشمال» على عناوين داخلية غير متشابهة ومختلفة. هناك نقطة يجب الإشارة إليها وهي أن الكتاب خصّص مقاطع قصيرة للإشارة إلى سيرة حياة بعض الأدباء أمثال لطفى المنفلوطي (نشاطه الأدبي)، ومصطفى صادق الرافعي (سيرة حياة وثقافته)، وأحمد شوقي، والطيب صالح لكنه لم يقدم تعريفاً موجزاً لسيرة حياة الأدباء البعيدين عن الشهرة، أمثال عبد العزيز عبد الكريم، وإلهام عبد الكريم، وعدنان علي جابر، ومحمود أحمد السيد، وعمر النص؛ أين عاشوا وما هي إبداعاتهم في عالم الأدب؟ بينما كان يستوجب التعريف الموجز بهؤلاء الأدباء الذين قد يكونون غير معروفين لدى بعض الطلاب، وذلك انطلاقاً من القناعة بأن معرفة المبدع تقدّم مفاتيح إضافية للولوج إلى عالمه الأدبي واستكناه مضامين أده.

٣.٥ عدم الترابط بين المواضيع

إن الاستطراد الذي يأتي في ثنايا بعض المواضيع والقفز من فكرة إلى أخرى دون سياق أو انتظام، تفكك الموضوع وتذهب انسجامه ولا تُدلل على التركيز والانسجام والدقة (الركابي، ١٩٩٢: ٥٣ و٥٣). في هذا الكتاب توجد مواضيع لا تمت بصلة لمواضيع أخرى، على

سبیل المثال فی الفصل الثانی وتحت عنوان «عناصر الفن القصصی» نجد شرحاً لهذه العناصر: الحادثة، الشخصية، البيئة، الموضوع، الهدف من كتاب القصة، الحكمة وأنواعها، السرد، الأسلوب، الحوار (ص ۶۴). ومن الواضح أن الهدف من كتابة القصة لا يدخل ضمن عناصر الرواية، وتم إقحامه في هذه العناصر دون تروية وتأمل. وفي القسم المتعلق بالمقالة والذیکان من المفترض أن يأتي الدارسان بنماذج من المقالة العربية لتحليلها واستخراج الأفكار الرئيسية فيها، نجدهما يركزان على سيرة حياة لطفی المنفلوطی ونشاطه الأدبی، وسيرة حياة مصطفى صادق الرافعی وثقافته (صص ۴۱-۴۵). كذلك في قسم المفاهيم النظرية وشرح عنصر الفكرة يتناول عنصر الحوار، والجدل الدائر حول الفصحى والعامية في لغة المسرحية (ص ۱۶۷)، وهذا مامضى الحديث عنه في الصفحات السابقة، وكان ينبغي اجتنابه، وطرحه من جديد واختلاط المواضيع.

۴.۵ عدم الاعتماد على المراجع الرئيسية

في قسم المفاهيم النظرية لا يعتمد الكتاب على المراجع الحديثة الصادرة في مجال الأدب الحديث إلا نادراً. إن سنة طبعة الكتاب ۲۰۰۳ الميلادية، وكان بالإمكان الحصول على مراجع ودراسات معمقة في مجال النشر الحديث، للاعتماد عليها لإثراء وإغناء البحث. هناك قواميس متخصصة درست وعرفت المصطلحات السردية والمسرحية ويكون لزاماً على الكتابي هذا المجال أن يستفيدوا منها لتزويد القارئ بمعلومات وافية وحديثة وموثوقة. كما أن هناك نقاداً أمثال سعيد يقطين، وحسن بحراوي، وعبد الملك مرتاض، وسيزا قاسم وغيرهم ممن قاموا بدراسات نظرية لعناصر الرواية وطبقوها في تحليل روايات مختلفة لكنقاريء هذا الكتاب لا يزال يواجه تعدد الإحالات إلى كتب أمثال «فن القصة» لمحمد يوسف نجم، و«الأدب و فنونه» لعزالدين اسماعيل أو «القصة و الرواية» لعزیزة مريدن، تبعاً وبشكل متكرر. وكذلك الحال في قسم دراسة القضايا التاريخية في الفصل الأول من الكتاب، إذ اعتمد على ثلاثة كتب لاقتباس جمل قصيرة منها، فلا يتلقى القارئ معلومات واسعة ووفيرة من كتب تاريخ الأدب التي درست هذه القضايا بالإسهاب والتفصيل.

۵.۵ تعدد الأساليب في التحليل

التأمل في الكتب الجامعية يدرك ما يحف مشكلة المنهج من مزالق؛ لأنه من المسلم به ضرورة توافر الخلفية النظرية الذي يمكن على ضوئه تعقب جذور الفكر النقدي، وتفسير النص، وتقويمه. فلا بد للناقد من التسلح بمفهوم ما للأدب عامة، أي لا بد من الاستناد إلى نظرية في الأدب قبل

تعامله المباشر مع النصوص الأدبية (عزيز ماضي، ٢٠٠٥: ١٣ و ١٤). إن فقدان نقد أكاديمي ومنهجي مركز على نظرية محددة من الأخطار التي تهدد البحوث الجامعية وهذا البحث أصبح معرضاً لهذا الخطر؛ لأن اعتماد الكتاب في بعض تحليلاته على الدراسات السابقة التي لها أساليب متنوعة في النقد أدى إلى عدم توحيد المباحث المطروحة، وأصبح بعض النصوص النقدية مجرد ركام لا يكشف عن الاتجاه النقدي لصاحبي الكتاب، فتحوّلت الدراسة في بعض المواضع إلى مجرد سرد وصفي لا أكثر. فمثلاً في تحليل رواية «زقاق المدق» يجد القارئ اختلاطاً في المواضيع المدروسة حيث هناك إطلالة سريعة على الشخصيات الرئيسية والفرعية، ولكن تحت عنوان «ملاحظات حول الرواية» يكرر نفس المواضيع باختصار شديد ثم يتناول من جديد الزمان والمكان والشخصيات إلخ (صص ١٢٤-١٣٠). وفي نقد رواية «موسم الهجرة إلى الشمال» (صص ١٣٩-١٥٤) وعلى الرغم من التحليل الموجز للحدث والشخصيات ونقل فكرة الرواية إلى القارئ، يغفل الكتاب عن شرح الزمان والمكان والحبكة، ويتناول الوصف واللغة والأسلوب والصراع. وبالاستناد إلى فقرات ومقتطفات من الرواية يطلق الحكم العام القائل بأن الطيب صالح «في تصويره للأشياء شاعر كبير ومهندس مقنن يعرف كيف يختار ألفاظه ويركب جملة...» (ص ١٤٩).

إن الباحث مطالب باستثمار الأفكار النقدية للمنظرين لإصدار تحليله ورأيه الخاص، ولكن الاقتباسات التي أشيرت إليها في النص تكون طويلة وكاملة بحيث تطغى أحياناً على تحليلات الكتاب. على سبيل المثال بالمراجعة إلى أحد المنايع المعتمدة عليها باسم «في النقد العربي الحديث منطلقات و تطبيقات» (مصطفى، ١٩٨٩: ١٥١-١٥٩) في قسم نقد «مسرحية حكاية الأيام الثلاثة لعمر النص» (صص ١٧٩-١٨٨) يظهر عدم إدخال أي تغيير في أجزاء كبيرة من النص المقتبس بينما من الضروري أن يكون كلام الباحث مسيطراً على الأثر، ولا تغيب شخصيته في كثرة الاقتباسات المتتالية، ولا يكتفي بنقل الاقتباسات خالية من النقد والتعليق حسب المقام والظروف.

تجدر الإشارة إلى أن هناك مقاطع في الفصل الأول لم يُقدّم لها أي تحليل واكتُفي بالإتيان بالنماذج؛ هذا ما نجده في القسم المتعلق بالمقالات، وفي دراسة بعض القصص القصيرة بحيث تم تركها للطلاب دون أي تعليق أو نقد ليكشف هو مواهبه في تحليل النصوص ويكون طرفاً في المعادلة التعليمية حسب زعم المؤلفين ولكن كان ينبغي الابتعاد عن الإيجاز والاقتصاد في الكلام إذ إنه لا يؤدي إلى إرشاد بعض الطلاب نحو الهدف المنشود وقد يضلّون في متاهات النص. إن ترك النصوص دون إعطاء أي معلومات وجيزة أو مفاتيح رئيسية قد يطرح عليهم أسئلة كثيرة ومعقدة بحيث لا تسمح له مواهبه العثور على جواب لهذه الأسئلة، ومن ثم لا يتفاعل مع رأي الكاتب ولا يشاركه في التحليل والاستنباط.

٦.٥ فقدان المكونات الشكلية الجامعة

تفتقر الكتاب للمكونات الشكلية الجامعة وهي: السؤال، والفرضية، وفهرس العناوين الأصلية والفرعية، ونتيجة البحث، والتمارين، والأسئلة المستخرجة من الفصول. إن كان من المفترض أن يكون الكتاب تعليمياً فليجدر بالمؤلفين أن يراعي المكونات المذكورة ويتم تقديمها في جميع فصول الكتاب يتم إنهاء البحث بخاتمة تُظهر الخلاصة وأهم الخطوط العامة لنتائج البحث.

٦. النتيجة

إن تقويم كتاب دراسات في الأدب العربي الحديث (النشر) يرينا أن:

١. مؤلفي الكتاب لم يحتفلوا بالضوابط، والقوانين المتبعة والصحيحة في الإحالة إلى المصادر والمراجع المستفادة منها، ولم يلاحظوا الدقة فيما ينقلان.
٢. على الرغم من بعض التحليلات الجيدة والصائبة في ثنايا الفصول، لم يتمتع الكتاب بالاستفادة من المراجع الجديدة في شرح القضايا التاريخية والمفاهيم النظرية المتعلقة بالرواية والمسرحية.
٣. المؤلفين لم يخطوا خطوات موحدة ومتساوية في تحليل النماذج المقدمة، إن هذا الأمر ناجم عن فقدان تقدمهجي معظم التحليلات، والاعتماد على الاقتباسات المتتابعة من الدراسات السابقة.
٤. لا يمكن اعتبار هذا الكتاب كتاباً جامعاً في النشر العربي الحديث إذ لم يتجاوز في دراساته التاريخية منتصف القرن العشرين، ولم يشر إلى التيارات الأدبية الحديثة وأعلام الأدب العربي في النثر المعاصر وأعمالهم.
٥. إن هذا الكتاب تجاهل المؤهلات والمكونات الشكلية الجامعة.

المصادر

- أبو نضال، نزيه (٢٠٠٦). *التحويلات في الرواية العربية*، بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر.
- الإسلامي، سيد حسين (١٣٩١). *الأخلاق و ضوابط نقد الكتاب*، طهران: دار الكتاب.
- بشيرى، محمود (١٣٩٣). «تحليل و نقد كتاب الأدب المعاصر (نثر)»، *مجلة البحوث النقدية للنصوص وبرامج العلوم الإنسانية*، العدد الأول، أكاديمية العلوم الإنسانية والدراسات الثقافية.
- بلعابد، عبد الحق (٢٠٠٨). *عتبات (جيرار جينيت من النص إلى المناص)*، بيروت: الدار العربية للعلوم ناشرون.

كتاب دراسات في الأدب العربي الحديث (النشر) في ميزان النقد ... ٩١

حمداوى، جميل (١٩٩٧). «السيمبوتيقا والعنونة»، عالم الفكر، العدد الثالث، الكويت، المجلس الوطنى للثقافة والفنون والآداب.

الخرائط، إدوار (١٩٩٩). أصوات الحدائق، بيروت: دار الآداب.

الركابى، جودت (١٩٩٢). منهج البحث الأدبى فى إعداد الرسائل الجامعية، دمشق: دار ممتاز للتأليف والترجمة والنشر.

ضيف، شوقى (لاتا). الأدب العربى المعاصر فى مصر، دار المعارف: القاهرة.

عزيز ماضى، شكرى (٢٠٠٥). فى نظرية الأدب، بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر.

مصطفى فائق، و على عبد الرضا (١٩٨٩). فى النقد العربى الحديث منطلقات وتطبيقات، موصل: مديرية دار الكتب للطباعة والنشر.

ربيع، محمد أحمد والحمدانى، سالم أحمد (٢٠٠٣). دراسات فى الأدب العربى الحديث (النشر)، الأردن: دار الكندى للنشر و التوزيع.

الهاشمى، عبد الرحمن (٢٠٠٨). تعلم النحو والإملاء والترقيم، عمان: دار المناهج للنشر والتوزيع.

الهورى، صلاح الدين (٢٠٠١). كيف تكتب بحثاً أو رسالة، بيروت: دار و مكتبة الهلال.

هيكل، أحمد (١٩٩٤). تطور الأدب الحديث فى مصر، القاهرة: دار المعارف.

وهبة، مجدى (١٩٧٤). معجم مصطلحات الأدب، بيروت: مكتبة لبنان.

